ومن البنايات البعيدة سبيل ماء صغير بني في العام ١٤٤٥ على يد السلطان المملوكي قايتباي» (المصدر نفسه، ص ٢١٩ — ٢٢٢) . ويعطي لوك وكيث — روش في كتابهما **دليل فلسطين** ، لندن ، ١٩٣٠ ، صورة براقة عن اعمال البناء والترميم اثناء القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . ويقولان عن القدس ما يلي : « ان الفنادق والكليات التي انشئت في القدس خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ترينا كيف انه في هذه القرون كانت القدس فاتحة أبوابها للطلاب الذين كانوا يفدون من جميع انحاء العالم الاسلامي لزيارة الاماكن المقدسة وللاطلاع العلمي، وكان لكل من هذه الكليات قطعة ارض يعود ريعها لها . ومعرفة كل أرض مخصصة لصيانة كل كلية كانت تشكل مجالا هاما للدرس يمكن ان ينتج عنه تزويدها بالاموال الضرورية لاصلاحها واعادة بنائها كمراكز للعلم . » (المصدر نفسه، ص ٨٥). هذا في رايي يوضح الاهتمام المضاعف بمدينة القدس لدى سلاطين المماليك والعثمانيين نتيجة الغزو الصليبي . اما المثال الثاني فهو العدد الكبير من الكتب التي كتبت عن القدس من قبل كتاب عرب ومسلمين والتي لا يزال بعضها بشكل مخطوطات ، واهمها : **فضائل بيت المقدس** ، لابن المرجى بن ابراهيم المقدسي (خط) **سوانح القدس لرحلتي بواد القدس** ، للقمى (خط) ، **الانس في فضائل القدس** ، للقاضي هبة الله الشافعي (خط) ، **الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، للحافظ شيخ الاسلام ابن عساكر (خط) ، **باعث النفوس الى زيارة القدس** ، لابن فركاح (خط) ، **المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، لنصر الدين الرومي (خط) ، **فضائل بيت المقدس** ، لسبط بن الجوزي (خط) ، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، لمجير الدين الحنبلي (مطبوع) ، **الحضرة الانسية في الرحلة القدسية** ، لعبد الغني النابلسي (مطبوع) ، **مثير الغرام بفضائل القدس والشام** ، لابن سرور المقدسي (مطبوع) ، وغيرهم . (الدكتور اسحق موسى الحسيني ، **عروبة بيت المقدس** ، القاهرة، ١٩٦٨) .

قبل أن نختتم هذا البحث عن القدس ، تبقى نقطة لا بد من ايرادها هنا اذ ان لها تأثيرا خاصا على مكانة القدس من الوجهة الاسلامية والعربية بعد الغزو الصليبي . وهي أن القدس كانت تعتبر البوابة الى الاردن والى مكة والمدينة في الجزيرة العربية . ويقال انه في العام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) نزلت قوة صليبية في الكرك والشوبك في شرق الاردن ، وكانت تريد احتلال المدينة المنورة لنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل رفاته الى اوروبة . وتستطرد القصة ، كما يرويها مجير الدين الحنبلي في تاريخه عن القدس والخليل الى القول : أن السفن الصليبية اجتازت السويس في البحر الاحمر الى الحجاز . ولكن الناصر صلاح الدين ارسل من هزمهم واحبط مسعاهم . (ص ٤٤ من **عروبة بيت المقدس**) .

والخليل هي المدينة الثانية المقدسة في فلسطين ولربما تكون اكثر قدسية من القدس . انها تدعى « الخليل » او « خليل الرحمن » اي « مدينة خليل الله»، وخليل الله كان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام . (**موسوعة الدين والاخلاق** ، مجلد ٩ ، ص ٨٩٩) . وقد تكون هذه المدينة اقدم مدينة في التاريخ ، او على الاقل من اقدم المدن ، وهي تضم رفات سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب مع زوجاتهم وكذلك رفات سيدنا يوسف ، عليهم جميعا السلام . ويفترض ان الجامع المعروف بأسم « الحرم الابراهيمي » كان كنيسة ايام الصليبيين . والخليل هي اول عاصمة للنبي داود عليه السلام . احتلها الصليبيون في العام ١٠٩٩ ولكن صلاح الدين استعادها في العام ١١٨٧ . وتعود قدسية هذه المدينة عند المسلمين الى سببين : اولهما ، ان ابراهيم هو أبو العرب كما هو أبو اليهود ، وثانيهما ، ان انبياء اليهود وزعماءهم وزوجاتهم المدفونين في المدينة هم موضع اجلال وتقديس لدى المسلمين ويعرف ابراهيم عادة بأسم : « ابونا ابراهيم الخليل » ، ويقال ان ابراهيم قد نصب خيمته تحت سنديانة في سامر . ويعتبر جوزيفوس الخليل مدينة ادومية (عربية ؟) وليس يهودية . وقد شهدت المدينة ما شهدته فلسطين من عهود مختلفة كالرومان والبيزنطيين والعرب والمسلمين ، وفي ١٩١٢ كان عدد اليهود فيها لا يتجاوز الالفي نسمة بينما كان عدد العرب المسلمين فيها يبلغ اثنين وعشرين الف نسمة . وتتركز قدسية المدينة حول الحرم الذي يضم الجامع في الجهة الجنوبية . ويعتقد ان الجامع كان بناية اقيمت في الاصل على ايدي الصليبيين على موقع كنيسة فيما بين ١١٦٧ — ١١٨٧ . ويوجد في ارض القاعة فتحتان يقال انهما توصلان الى